

التنّاص الدينيّ في شعر أبي مسلم البهلاّنيّ: دراسة تحليليّة
The religious intertextuality in the poetry of Abū Muslim
al-Bahlānī: an Analytical study

محمد أنور بن أحمد
International Islamic University Malaysia (IIUM)
m_anwar@iium.edu.my

أحمد بن ناصر بن حبيب البراشدي
International Islamic University Malaysia (IIUM)
brashdi1986@gmail.com

ملخص البحث

Article Progress

Received: 2 July 2023
Revised: 28 July 2023
Accepted: 9 Aug 2023

* Corresponding

Authors:
**Muhammad Anwar
Bin Ahmad**

e-mail:
m_anwar@iium.edu.m
y

يُعدّ أبو مسلم البهلاّنيّ من أكثر الشعراء العمانيّين حضوراً في مخيلة الكثير من العمانيّين، لقد كان الشعر عند أبي مسلم وسيلة لتوصيل رسائله الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وكان همه إيصال رسالة للأمة العربية والإسلامية عامة بضرورة التمسك بالدين وتعاليمه وبالوحدة ونبد الشقاق. والملاحظ في نتاج أبي مسلم الشعريّ أنه كثيراً ما يستلهم مادته من النصوص الدينية: القرآن الكريم والحديث النبويّ. استدعاء الشاعر هذه النصوص واستثمارها في شعره يعدّ من مظاهر التنّاص؛ فيأتي هذا البحث الكشف عن التنّاص الدينيّ في شعر أبي مسلم البهلاّنيّ وبيان فوائد توظيفه التنّاص في شعره. ويتبنّى البحث المنهج التحليليّ وذلك من خلال دراسة وتحليل الأبيات الشعريّة التي تمّ توظيف التنّاص فيها إضافة إلى تحليل أسباب وأسرار توظيفه. وتكمن أهميّة البحث في إبراز الشعر العربيّ الحديث الملتزم إضافة إلى اهتمامه بأثر القرآن الكريم والحديث النبويّ في الشعر الإسلاميّ. وقد توصلّ البحث إلى نتائج مهمّة ومن أبرزها أن التنّاص أداة فاعلة من أدوات الشاعر لتقوية الدلالة، وتحسين الألفاظ، وإثراء التجربة الشعريّة، وإخراج صور جديدة مستلهمة من الواقع.

الكلمات المفتاحية: التناص، الشعر الإسلامي، الشعر العماني، أبو

مسلم البهلاني

ABSTRACT

Abū Muslim al-Bahlānī is considered one of the most present Omani poets in the imagination of many Omanis. For Abū Muslim, poetry was a means of conveying his religious, political, social, and cultural messages, and his concern was to deliver a message to the Arab and Islamic nation in general of the necessity of adhering to religion and its teachings, unity and rejecting discord. What is noticeable in Abū Muslim's poetic works is that he often draws inspiration from religious texts: the Holy Qur'an and the Prophet's Hadith. The poet's summoning of these texts and investing them in his poetry is a manifestation of intertextuality. This research aims to reveal religious intertextuality in the poetry of Abū Muslim al-Bahlānī and explain the benefits and secrets of employing intertextuality in his poetry. The research adopts the analytical approach by studying and analyzing poetic texts in which intertextuality was used, in addition to analyzing the reasons and secrets of its use. The importance of the research lies in highlighting committed modern Arabic poetry, in addition to its interest in the impact of the Holy Qur'an and the Prophet's Hadith on Islamic poetry. The research found that intertextuality is an effective tool for the poet to strengthen meaning, improve wording, enrich the poetic experience, and produce new images inspired by reality.

Keyword: Intertextuality, Islamic Poetry, Omani Poetry, Abū Muslim al-Bahlānī

المقدمة

لقد شكّل القرآن الكريم ملامح الشخصية المسلمة منذ نزوله إلى وقتنا الحاضر، فتأثّر الشعراء المسلمون به تأثراً قلّ نظيره، وقلّما تجد شاعراً لم يكن له نصيب في النهل منه، وتقليد قصائده بلائه وحلله، حتى غدا الاقتباس من معانيه وصوره وأخيلته سمة بارزة، وطريقة لا بد من السير فيها. ولم يكن الاستشهاد والاقتباس من القرآن محض تكملة أو لسد معنى أو لمجرد اقتباس، بل لأن القرآن جاء بمنتهى البلاغة بكافة أنواعها، والبيان بكل صورته، ولم يتحدّ الله سبحانه وتعالى العرب بمجاراته والإتيان ولو "بسورة" من مثله إلا

لكونه قد بلغ منتهى النظم والبيان والبلاغة، وفاق كل ما ألفوه واعتادوا في مخاطبة العرب عليه، ولو أراد الشاعر أن يصل إلى منتهى بلاغة الشيء فإن الاستعانة بكتاب الله أفضل وأسرع وسيلة للوصول إلى معنى الشاعر.

ولقد ارتبط الحديث النبوي بالقرآن الكريم لأنه جاء مفسرا للكثير من أحكامه. ولهذا ارتبط باللغة وبالأدب والشعر، وكان تأثيره في هذه المجالات جليلا، ولا غرو في ذلك فالرسول ﷺ أفصح العرب، وأبلغهم حجة، وأعذبهم كلاما، وأغزرهم حكما، وأصدقهم حديثا، وأوجزهم عبارة، وأعلمهم بلغات قبائل العرب، وأقدرهم على مخاطبة قبيلة بلغتها. فلا جرم أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن؛ يقتبس الأديب من لفظه، وينتفع البليغ بصوغه، ويستمد مفسر القرآن من أثره، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه، ويشيد اللغوي صرحا للغة من كلمه، ويستظهر الحكيم بحكمته. قال الجاحظ في وصف كلامه: "وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب" (الجاحظ، 1423، 13/2). وكلام هذا هو شأنه لا بد أن يكون له تأثير واضح في متلقيه من المسلمين الأوائل واللاحقين بعدهم، فقد احتفوا به وحفظوه مشافهة عن الرسول الكريم، وتناقلوه صحابة ثم تابعين، واقتفوا أثره في كلامهم، واغترفوا من معينه تضييما واقتباسا.

ولقد سار الشاعر أبو مسلم البهلاني على نفس المنطلق الذي سار عليه الشعراء بعد نزول القرآن الكريم في التأثير بالقرآن الكريم والحديث النبوي، وجعلهما الركيزة الأهم في خطابه الشعري، والسند المؤثر في أفكاره، واتجاهاته. يعد الشاعر أبو مسلم البهلاني أحد الفقهاء الإباضيين في شمال أفريقيا، حيث كان من أصحاب الرأي والمشورة في زنجبار، ولقد شكلت تنشئة الشاعر الدينية، والانخراط في العمل الشرعي والقضائي عاملاً قوياً في التأثير القوي والواضح بالقرآن الكريم والحديث النبوي، وإن كان الشعراء قاطبة قد تأثروا بالقرآن الكريم والحديث النبوي، فإن أبا مسلم قد جعل للتأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي في شعره معنى آخر، فالقرآن بالنسبة للشاعر هو الرافد، والفكرة والهدف، فهو يسعى من خلاله أن يستحوذ على نفوس مخاطبيه، لأنه يرى أن البناء الفكري، والخزن المعرفي للشخصية المسلمة لا بد أن تتشرب بالقرآن الكريم والحديث النبوي، والشعر بلا ربط بالمنهج والاعتقاد هو مجرد كلام مسطر من حروف وكلمات ظاهره وباطنه الخواء.

انطلاقاً من ذلك يأتي هذا البحث لدراسة التنصص الديني في شعر أبي مسلم البهلاني وذلك لحضور ملحوظ من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في نتاجه الشعري.

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث من أمور عدة:

1. إثراء الدراسات النقدية العمانية، وفتح آفاق جديدة لباحثين آخرين لإبراز قوة الشعر العماني، ورقيه وسموه من خلال ما طرحه الشعراء.
2. العناية بالجانب الفني للشعر بغية فهمه فهماً عميقاً.
3. إبراز الشعر العربي الحديث الملتزم.
4. الاهتمام بأثر القرآن الكريم والحديث النبوي في الشعر الإسلامي.

أهداف البحث

يهدف الباحث إلى:

1. الكشف عن التنصص الدینی فی شعر أی مسلم البهلانی المتمثل فی النصوص القرآنیة والنبریة.
2. و بیان فوائد وأسرار توظیف أسلوب التنصص فی النتاج الشعری.

منهج البحث:

یتبنی البحث منهج تحلیل المحتوى مستخدما المنهج التحلیلی من خلال دراسة وتحلیل الأبیات الشعریة المختارة التي تم توظیف التنصص فیها إضافة إلى تحلیل أسباب وأسرار توظیف الشاعر التنصص الدینی فی نتاجه الشعری.

الدراسات السابقة

لقد قام الباحث بفحص الدراسات السابقة للتنصص عند أی مسلم البهلانی، وهي دراسات معدودة والغالب منها توظّر للجانب النظری أكثر من تأطیرها للجانب الفنی.

ومن هذه الدراسات دراسة بعنوان "التنصص الدینی فی شعر مانع سعید العتیبة: مدخل تحلیلی" (2017) لنصر الدین إبراهیم أحمد ودلال محمد بندر. تناولت الدراسة بالبحث عن التنصص فی شعر مانع سعید العتیبة، حیث ركزت على دراسة التنصص الدینی بشقیه؛ فی القرآن الکریم والحديث النبوی. والدراسة تفیدنا بمفهوم التنصص الدینی وكيفية توظیفه فی العمل الشعری.

وثمة دراسة موسومة بـ"الخطاب الدینی ونسق المرجعیات فی شعر أی مسلم البهلانی" (2003) لمحسن بن حمود الکندی والتي ركزت على مرجعیات أی مسلم، وهي من وجهة نظره المرجعیة الدینیة مفصلا لها من خلال (الموقف من قضايا التوحید، والموقف من قضايا العبادة، واعتبار السلوك تعبدا)، والمرجعیة السیاسیة، ونسق الواقع التي تؤكد — كما یقول الباحث — على نظرة أی مسلم للسیاسة، وحاجته إلى التعبير، وربط التعبير بمبادئ الإسلام وقمیه، وأخیرا المرجعیة الاجتماعیة ونسق الذات القبلیة، ویخلص الباحث

إلى أن أبا مسلم البهلاني استطاع من خلال هذه الأنساق تأكيد حضوره جماهيريا فشخصيته وفق نسق المرجعيات باقية في المجتمع العماني وتحظى بقبول منقطع النظير. ومن الدراسات التي لها صلة بالبحث الحالي بحث بعنوان "الخطاب الديني في شعر أبي مسلم البهلاني في إطار مدرسة الإحياء" (2003) لمحمد قاسم ناصر بوحجام، ركز البحث على جانبي الحكمة والرياء، مستعرضا أجزاء من شعر أبي مسلم فتطرق إلى خصائص مدرسة الإحياء، ثم عرض الأغراض والمعاني التي تناولتها المدرسة الإحيائية، وينقل بعدها إلى الجانب الفني الذي سار عليه أبو مسلم في قصائده مركزا على مقدمات قصائده، ثم ينتقل إلى الأسلوب الخطابي، ثم التكرار مؤكداً أن التكرار ظاهرة لافتة في شعر أبي مسلم، ينتقل بعدها للحديث عن الصورة الشعرية في شعر أبي مسلم مركزا على التشبيه والاستعارة، ثم ينتقل بعدها للموسيقى الشعرية عارضا بعض ما امتازت به الموسيقى الشعرية في شعر أبي مسلم كالتصريح واستخدام أحرف بعينها، وتكرار الحروف والمقاطع المتساوية والمتوازية في طولها والنبرات وتوليد المعاني، ثم ينتقل إلى القافية المتأثرة بالفاصلة القرآنية مستعرضا بعض القصائد التي استلهمها من بعض السور، ولقد جاءت الخاتمة لتؤكد على سير الشاعر على خطى شعراء مدرسة الإحياء في معالجة موضوعاته. ولم يدرس شيئا عن التناص في شعره المر الذي جعل البحث الحالي صالحا لإجرائه وتناوله.

أولا: مفهوم التناص

التناص مصطلح حديث يقابله في القديم مصطلح الاقتباس والتضمين، والسرقات الشعرية، وجاءت تسميته ترجمة للمصطلح الفرنسي والإنجليزي (Intertextuality) (مشبال، 2015)، والتناص من الجذر الثلاثي (نصّ) وهو بمعنى رفع الشيء، ونص الحديث رفعه، ونص المتاع جعل بعضه فوق بعض (ابن منظور، 1414، 97/7)، ونص العروسة إذا أقعدها على المنصة، وما أظهرته فقد نصصته (الزبيدي، 1993، 178/18)، ويظهر أن النص بمعناه الذي يفيد الكلام يرجع إلى رفع الشيء إلى صاحبه، ونسبته له، وهذا ما

إن الخصوصية والسّمات والفرادة تستوعبان كل نص على حده، والتماثل والتبادل بعيدان عن النصين المتناصين (عيد، 1995)، فلا يسمح أن يحل نص مكان آخر بسبب التناص، فكلا النصين ينفرد بذاته، وينغلق على أساليبه وصوره، وألفاظه.

إن ظاهرة التناص ليست حديثة العهد بالنقد؛ فلقد كان اهتمام النقاد العرب بهذه الظاهرة قديماً، فعمرو بن العلاء من أوائل من فسر هذه الظاهرة (غليس، 2014)، كما وردت الكثير من الروايات التي تتناول بعض أساليب التناص، كالسراقات الشعرية، وقد ألفت كتب لكشف سراقات بعض الشعراء،¹ ما يعني أن القدماء كانوا على دراية - وإن كانت تنزع لجانب الكشف دون التحليل - بخبايا النصوص الأدبية، واستلهاهم، واستلال الأدباء للكثير من النصوص التي مروا بها سمعوها.

ونظراً للتباين في تفسير معنى التناص، وتفصيل حقيقته؛ فقد تعددت مسمياته في الدرس العربي لتصل إلى أكثر من عشرة مسميات: التناص، والنصوصية، وتداخل النصوص، والنص الغائب، والنصوص المهاجرة، وتضافر النصوص، والنصوص الحالة والمزاحة، وتفاعل النصوص، والتداخل النصي، والتعدي النصي، وعبر النصية، والبنصوية، والتنصيص (ناهم، 2004)، ويجمع هذه المسميات الإطار العام للتناص، وفكرة التناص التي تستند إلى تفرغ جزء من مخزون الشاعر المعرفي، والفكري، والعقائدي، والاجتماعي، والثقافي في وعاء أدبي.

إن النص المثقف هو الذي يحيل إلى مرجعيات متعددة، فلا يكتفي بالحاضر، ويتخذ من الماضي أساساً وركيزة لينطلق إلى إبداع رموز ومعانٍ مختلفة، ونظراً للعلاقة بين

¹تناول مجموعة من القدماء لقضية السراقات العشرية كابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء، وابن قتيبة الدينوري في الشعر والشعراء، وابن طباطبا في عيار الشعر، ومحمد بن يحيى الصولي في أخبار أبي تمام، وعبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة، وعبدالعزیز الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومه، والآمدی في الموازنة بين أبي تمام والبحثري.

النص والنصوص المختلفة والتي تكون بكيفيات متعددة (مفتاح، 1992)، فإن التنصص يسهل عملية الإبداع، ويقوي الدلالة، ويساعد في الربط بين الأحداث المختلفة، والأفكار المتعددة.

وإزاء الاختلاف الذي أطلق شرارته الشكلاونيون حول الإبداع الذي يحدثه التنصص، معتبرين أن النص المعارض ليس إعادة إبداع، أو كتابة مماثلة (عيد، 1995)، فإنه لا يوجد نص إنساني مبتكر كلياً، فالامتزاج بين الأنا، والآخر هو ما يساعد على عملية الإبداع، وينميها (لوشن، 1424، ص 1023)، كما نجد في التراث العربي مقولة ابن الأثير التي يوضح فيها أن الابتداء في المعاني لن يتوقف، يقول: "إذا قيل: إن المعاني المبتدعة سبق إليها ولم يبق معنى مبتدع، عورض ذلك بما ذكرته. والصحيح أن باب الابتداء للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة" (ابن الأثير، 2020)، والخلاصة أن التنصص بمدلوله العام لا ينفي العمل الإبداعي، بل يؤكد على أن العمل الإبداعي هو عمل متلاحم ومتلاصق، لأن النص المثقف يستفيد من غيره من النصوص التي تعود إلى مرجعيات مختلفة، ويحرر إلى الماضي فيجعله قوة ينطلق منها إلى الحاضر، فكما يصرح ابن رشيق القيرواني أن المعاني لن تقف عن التردد والتولد، لأن الكلام يجلب بعضه بعضاً (القيرواني، 1981).

إن أهم ما يميز التنصص هو اعتماده على ركيزتي الاستدعاء والتحويل (حسين، 2017)، فالنص لم يولد إلا بالاستعانة بمعارف، وخبرات، وتصورات مبنية على مرجعية سابقة، كما أن هاتين الركيزتين ترتبطان بصياغة التركيب بطريقة جديدة، للخروج بإنجاز إبداعي يراعي الدلالات الجديدة، ويساعد في فتح آفاق تأويلية أوسع (بوترعه، 2018).

ثانياً: أنواع التنصص

قسم مجموعة من النقاد التنصص إلى ثلاثة أنواع: التنصص الخارجي، والتنصص الداخلي (مفتاح، 1992)، والتنصص الذاتي (يقطين، 2001)، وهذه الأقسام تعالج أنماطاً محددة في العمل الأدبي، فكل نوع يعنى بجانب في العمل الأدبي، وباعتبار أن التنصص الخارجي

الشعري، فحضور التناص خدم كلا من المعنى، والغرض، وأسهم في إثبات قول الشاعر، وعزز من صلابة البيت، وربط المخاطب بمنهجه الذي لا يمكن أن يشكك فيه. ونلاحظ دور التناص في توجيه المخاطب إلى نقطة مركزية يتلاقى فيها البيت مع تناصه، وتأخذ المتلقي إلى نقطة ألا عودة في تصويره عن المدلولات التي أشار إليها البيت، والتي تحيل المخاطب بشكل غير قابل للتأويل إلى تشريح القرآن الكريم للنفوس المعادية للمخاطب، وتطالبه بأخذ الحيطه والحذر في حكمه على المشركين في كل عصر، وكل زمان، وهذا التناص ما هو إلا تأكيد من الشاعر الواعي للمخاطب المتردد على الدلالة القاطعة التي جاءت في كتاب الله، فأحكام الله لا تتبدل، ولا تتغير. كما نراه في بيت آخر يعزز حضور التناص اللفظي، يقول (البهلائي، 2010، ص 414):

أمان وأوهام وزخرف باطل** سراب بقيعان الفلاة يمحور

يتناص هذا البيت مع قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ﴾ [النور: 39]، وتبين الآية جانب الحقيقة في ظاهره، لكنه باطل في حقيقته، إذ إن السراب ناتج عن توهم العقل للحقيقة، وفي تناص الشاعر للآية يريد أن يوضح الشاعر تصور الكفار لأعمالهم بكونها حقيقة غائبة عن عقولهم، كما أن الأمان والأوهام والزخرف في حقيقته سراب، فيريد الشاعر أن يبين المساواة بين الصورتين، صورة الآية وصورة البيت، وهنا الشاعر لم يحدث أي تغيير في بنية التناص لكون الصورة التي يتحدث عنها قريبة إلى ذهن المخاطب، وهي تكفي للغرض الذي وضع من أجله البيت الشعري، ويتفق كل من البيت الشعري والآية في الهدف الذي من أجله، فالهدف في الآية توضيح قيمة عمل المشركين بكونه عملاً كائناً لكنه سراب في الحقيقة، بسبب العامل الذي أثر في العمل وهو الشرك فجعله هباءً، وفي البيت يوضح الشاعر أن كلا من الأمان والأوهام والزخرف يتراءى للناظر بأنه حقيقة مطلقة، إلا أن في واقعه سراب، وهنا يحتاج الشاعر إعادة صياغة الآية

لتناسب مع البيت، فدلالة الشاعر لا تختلف عن دلالة الآية، وحضور التناسق في البيت ما هو إلا إشارة للمخاطب بحكم سابق أشار إليه القرآن، ونبه إليه. كما يسوق الشاعر التناسق في لفت نظر المخاطب إلى قضية مصيرية، يقول (البهلاني، 2010، ص 735):

وما هو إلا سكرة الموت بعتة** وذلك أمر كنت منه تحيد

يتناسق البيت مع قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19]، وجاء التناسق ليؤكد حقيقة واحدة وهي الموت، وقد أخذ الشاعر كامل الآية لتكامل المعنى، فهو يريد أن يوضح للمخاطب العلاقة الكائنة بين الغفلة وسكرة الموت كما جاءت في الآية، وقد أدى التناسق إلى جلاء المعنى الذي يريد الشاعر من المخاطب التنبيه له، فالعلاقة القائمة بين النص وتناسقه هي علاقة تأكيد لنص الشاعر؛ فاقتناس الآيات القرآنية يشكل قوة دلالية، وصحبا تعبيريا عاليا، يساعد في إظهار المعنى بكافة جوانبه، وهو ما يؤدي إلى انكشاف الصورة التي يريد الشاعر أن يضعها أمام المخاطب.

لقد شكل أسلوب الحصر في التناسق تأكيدا قاطعا، وخبرا يقينا يتناسب مع حالة المخاطب، ويعزز من قيمة التناسق باعتباره خروجا إلى الإبداع من التقليد؛ فهو استدعاء وتحويل، فيقتنص الشاعر تناسقه لأجل إضافة علامات تبين مقدرته في التعامل مع اللغة باعتبارها أداة سهلة للتشكيل، وتسهم في إظهار خروجه من مجرد الاستفادة من المصادر المختلفة للغة، إلى قدرته على تشكيل اللغة بما يتناسب مع أفكاره وتطلعاته.

ويتضح من خلال هذا التناسق في هذا البيت أن الشاعر يسعى إلى جعل القرآن الكريم ركيزة في تفسيره للقضايا التي تحتاج إلى قوة حجائية رصينة لإقناع المخاطب، وضمأن تأثيره، وتحوله من التأويل إلى اليقين.

ونرى في جانب آخر من التناص أن الشاعر يبرز شخصيته الإبداعية، وقدرته على الاستفادة من مصادره لتحقيق غرضه الشعري، يقول (البهلاني، 2010، ص 735):

أما في صروف الحادثات مواقف * لفكر ملقي السمع وهو شهيد
يتناص بيت الشاعر مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، وذلك لحشد مجموعة من المفاهيم العميقة،
والخافية على المخاطب في لحظة من اللحظات، فعلى افتراض أن المتلقي لهذا الخطاب
متنبه لما يتحدث عنه الشاعر، وليس بحاجة إلى تأكيد أو تنبيه الشاعر له، فإن التناص
يحدث فارقا ملحوظا في ذلك؛ فهو يرجع المتلقي إلى حالة المشكك في مدى تأمله
للحوادث التي تمر عليه، لي طرح التساؤل الحقيقي حول هذه الحوادث، ويعيد ترتيب تلك
المشاهد، وما تحمله من تفاصيل متناقضة، ومعان خافية، وغموض في القدرة التي أدت
إلى الوقاية من بعضها، والوقوع في بعضها الآخر. وقد أعطى الاستفهام التناص بعدا
دلاليا، وتداخلا نسيجيا قويا، أسهم في جلاء المعنى الذي يطمح إليه الشاعر، فالشاعر
لا يقصد بهذا التناص دفع المخاطب إلى الرجوع لمصدر التناص، وترك المعنى الذي يريد
المخاطب الوصول إليه، بل إن الشاعر يريد من المخاطب الربط بين ما يدعو إليه، وما
دعا إليه القرآن الكريم -الذي هو مصدر التناص-، ليشير للمخاطب بأن حديثه لا ينفك
أبدا عن دعوة القرآن، وما تناصه إلا امتداد إلى الدعوة القرآنية إلى التفكير والتدبر في كل
ما يمر به الإنسان من حوادث.

ولإظهار المعنى الخفي الذي يقبع في مخيلة الشاعر، تكمن أهمية التناص، فالتناص
مع القرآن الكريم في هذه الدلالات يسهم في تبيين الصورة، ورفع القيمة اللغوية، والدلالية،
والاستفهام الذي تصدر البيت وأسهم في إثارة حماس المخاطب، هو نتاج من نتاج التناص؛
فالتفاعل بين الاستفهام والتناص أحدث انسجاما في بنية الخطاب، وترابطا بين السبب
والنتيجة، وبين ثراء التجربة الشعرية، وتمكن الشاعر من أساليب اللغة، وأدواتها، كما يبرز

في هذا التنصص مقدره الشاعر في تطوير ألفاظه لتتناسب مع قوة المعنى، ووضوح الدلالة من جهة، ولضمان وصول المتلقي لمرحلة الاقتناع والتسليم من جهة أخرى. ولا بدّ من الانتباه إلى أن قناعة الشاعر تجرّه على تضمين مجموعة من الآيات القرآنية في مجموعة من أبياته الشعرية؛ لكون دعوته التي يدعو لها هي في أساسها دعوة القرآن، فهو يؤكد ما جاء في كتاب الله، ويشعل شرارة القيم والتعاليم المختزنة في مخيلة المخاطب، وهنا يختار الشاعر تناصه بعناية واعية لإحداث ذلك التأثير في ذهنية المخاطب. ويصبح التنصص عند الشاعر أداة مهمة للوصول بالدلالة إلى أعلى مستوياتها اللغوية، فيسهّم حينها التنصص في تآصر المعنى وتقوية بعضه بعضاً، ومن ذلك يقول (البهلاني، 2010، ص 419):

وفي زخرف القول ازدهاء لمن غوى * وألته عن لب الصواب قشور

يتنصص البيت مع قول الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112]، فزخرف القول يؤدي إلى سلب الألباب، وإغواء النفوس، وقلب الحقائق، وتزيين القبائح (الطبري، 2001)، وقد أدى التنصص إلى جلاء الدلالة، وفتح مخيلة المتلقي لاستيعاب الدلالة بكل تفاصيلها؛ فالسياق الذي جاءت فيه الآية هو سياق علاقة العداوة بزخرف القول الذي يؤدي إلى الضلالة والحياد عن طريق الحق، وسياق البيت ينحو في سياق العلاقة بين زخرف القول والغرور، فارتباط السياقين أجلى الدلالة، ورفع من مستوى اللغة الشعرية، وأوصل المتلقي لمرحلة الاستقرار النفسي، واليقين العلمي، وهي الغاية التي يسعى الشاعر لها، ويرغب في تحقيقها؛ فالتنصص سهل على الشاعر الانتقال من المستوى البسيط للغة إلى المستوى المعقد للدلالة.

كما نلاحظ أن الشاعر يستأنس بألفاظ وردت في السنة النبوية، وغرضه من ذلك تقوية المعنى، والانتقال بالمتلقي من حالة السكون إلى حالة التفاعل، والاستجابة السريعة، يقول (البهلاني، 2010، ص 701):

بخ بخ يا سراة المجد إنكم ** ذكرتم المجد ما أعطى وما منعا

يتنصص لفظ (بخ بخ) مع ما ورد في السنة النبوية في قصة يقول عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: بَخٍ بَخٍ، وهي كلمة تدل على المدح، وقد بين التنصص تفاعل الشاعر مع حال المخاطبين، وراحته النفسية تجاه الحدث الذي يتناوله، كما انتقل بالدلالة من المعنى العام إلى المعنى الخاص الذي يقصد به الشاعر الدعوة لبذل المزيد، وتقوية الهمم، وعدم التراجع عن المبادئ.

2- تنصص المعاني

ويقصد به الباحث أن يأخذ الشاعر المعنى دون اللفظ، بحيث يوجد ما يدل على ذلك من خلال نص الشاعر، فمن ذلك يقول الشاعر (البهلاني، 2010، ص 414):

ألهو؟ وقد نادى المنادي لمنتهى ** إليه وإن طال المطال أصير

يتنصص البيت مع قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، يشترك النص الحاضر مع قول الله تعالى في المفهوم والغاية والهدف، فالآية تشير إلى أن النفس البشرية لا بد أن تذوق الموت، سواء أرغبت ذلك، أم لم ترغب، والبيت يستقى هذا المعنى من الآية الكريمة، فيقول الشاعر أن الموت مسألة وقت، وإن مد الله في عمر الإنسان؛ فإن مصيره الموت، فنلاحظ كيف تنصص البيت مع الآية الكريمة في المعنى، دون اللفظ. ولقد شكل التنصص اتساقا بين اللفظ والمعنى، فالاستفهام الاستنكاري الذي طرحه الشاعر في بداية البيت يشير إلى كلمة التقوى في الآية الكريمة، وبين لفظ (أصير) النهاية التي ينتظرها كل شخص، وصورورة الإنسان من

الحياة إلى الموت تمثل النهاية لمرحلة من المراحل التي رسمها الله الحياة البشرية، وعبارة الشاعر (طال المطال) بينت صورة الوقت الممتد بين حياة الإنسان وموته، وهي تشير إلى المدى الطويل الذي يمكن أن يعيشه كل إنسان في هذه الدنيا، وتشير عبارة الشاعر إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، كما يتفق هذا المعنى مع قول الله تعالى: ﴿بَعَفْرًا لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَتُبَّحَّرُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، والشاعر في هذا البيت يتخذ من التنصص سبيلا لبلوغ ما يأمله من تأثير في نفوس مخاطبيه، وتنبههم على خطورة التغافل عن الحدث الأهم في هذه الحياة، والذي ينتظر كل واحد فيهم وهو الموت، محاولا تذكيرهم بهذا الحدث بطريقة تدفعهم إلى الاستجابة له، والقبول بنصيحته.

وفي ذات السياق، يستعرض في بيت من أبياته قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [التوبة: 34-35]، يقول الشاعر (البهلائي، 2010، ص 695):

ماذا تريد بجمر عشت تركمه؟ ** جحيمه باشتداد الحرص تذكياها

إن التنصص في هذا البيت يأخذ المعنى بعيدا عن اللفظ، وهذه محاولة من الشاعر لجعل أشعاره لا تخرج عن دعوة القرآن، ونهجه. يتحدث الشاعر عن المال الذي يكون في اعتقاد المخاطبين سبيلا للسعادة، غير أن اللفظ الذي أتى به الشاعر لا يوحي إلا بعكس السعادة، والراحة، بل إنه يذهب بعيدا في تفسيره للجانب الذي يتركه المال، فهو يستخدم لفظ (جمر) لتوضيح الخطر الصريح الذي يشكله المال المتراكم في يد الإنسان، ولأجل دفع الدلالة إلى أقصى حدودها فإنه يستخدم أسلوب الاستفهام لإثارة الشعور المخيف لدى المخاطب؛ فبمجرد ما يرى الإنسان الجمر يبدأ فيه شعور الخوف من لمسه، والتعامل معه بجزر، وفي المقابل فإن المال ليس كذلك، فالتعامل معه يشعر بالراحة، والرغبة في الاستزادة منه، ولذلك يجد الشاعر في التنصص عاملا مهما في تحقيق الهدف الذي يسعى لإثارة شعور

المخاطب إليه، وهو أن المال يكون عنصرا آمنا إذا كان في إطاره الشرعي الذي بينه الله سبحانه وتعالى، وما عدا ذلك يصبح المال خطرا على الفرد المسلم، فهو جمر يجب الاحتراس منه، والابتعاد عنه بالقدر الذي يسمح للإنسان بالعيش الكريم. إن تناص البيت الشعري مع الآية الكريمة بين مدى اهتمام الشاعر بالافتباس من القرآن الكريم، ففي عبارة الشاعر (تركمه) التي تتناص في الآية الكريمة مع (يكنزون)، وفي قوله (تذكيها) والتي تتناص مع قول الله تعالى (يحمى)، فهذا التناص أحدث انسجاما دلاليا في البيت الشعري، وأدى ذلك إلى تقوية أفكار الشاعر، وسبيلا إلى الوصول نحو الغاية التي من أجلها يضع الشاعر أبياته، كما أظهر التناص قدرة الشاعر على تطويع ألفاظه لتناسب مع تناصه، كما بين أن الشاعر متمكن من لغته، قادر على الوصول بها إلى أعلى مستوياتها الدلالية، والفنية. وفي بيت آخر بيدع الشاعر في تناصه مع قول النبي ﷺ: { وَاللَّهُ مَا الْفَقْرُ أَحْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَحْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ } (النيسابوري، 1433، 2273/4)، يقول (البهلاني، 2010، ص 672):

هراشا على الدنيا وطيشا على الهوى ** وذلك سم في الحقيقة ناع
وما حرك الأضغان في قلب مسلم ** على مسلم إلا من النعي وازع

ينطلق الشاعر في تناصه مع الحديث النبوي من نقطة الطمع في الدنيا، والتنافس عليها، والنتيجة المتوقعة من ذلك، ولأجل أن يضع المخاطب في الصورة الحقيقية فإنه يحاول أن يصف المشهد بكل تفاصيله، فبؤرة اهتمام الشاعر في هذا البيت هو أثر الحرص على الدنيا على العلاقة بين المسلمين بعضهم ببعض، ولإظهار هذه البؤرة فإنه يجعل من التناص أداة فاعلة لتحقيق غايته، فالعلاقة التي يرسمها الشاعر بين بيته الشعري، والحديث النبوي هي علاقة قائمة على صهر مكونات الحديث النبوي في البيت الشعري، ففي الحديث النبوي تركز البؤرة في الصراع على الدنيا، والتنافس المتوحش عليها، والمسارة إليها،

أيهدم ألف ما بنى الفرد منكم** وكيف بناء الفرد والألف هادم

فالتنصص في هذا البيت يأخذ معنى المفهوم الكلي للبيت، فالصورتان في كلا البيتين متفقتان حول الضرر الذي يحدثه الاختلاف بين الجماعة الواحدة، فاكتمال البناء بحاجة إلى اتفاق بين الأطراف المعنية على حاجته، وآلية بنائه، فلو اختلف الطرفان في ذلك فإن مصير البناء هو الخراب، وبؤرة التنصص هنا ليس اكتمال البناء، بل هي الوحدة والألفة والاتفاق، لأن اكتمال البناء هو ثمرة من ثمار الوحدة، وعلى هذا فإن الشاعر مهتم بقضية التآلف والوحدة لتحقيق الغايات التي يطمح من مخاطبه أن يقوموا بتحقيقها، وقد جاء سياق التنصص ليتناسب مع دعوة الشاعر لتعزيز الوحدة الوطنية، والتكاتف حول قيادة إمام المسلمين، ونبذ الأحقاد التي من شأنها هدم الدولة، وتشتيت الشمل، وضياع الآمال، وتبدد الأحلام، ولتكون هذه الدعوة لتجيش الناس في التحلق حول القيادة، والدفاع عنها، وعدم السماح لقيام النعرات والنزعات والأهواء الفئوية والشخصية.

الخاتمة:

النتائج

وخلاصة القول أن الشاعر يعتمد على المكونات الرئيسة للخطاب الإسلامي، والتي تمثل أساس آلية الخطاب الديني، وجوهر الدلالة، وإثراء لمخيلة المخاطب، ودفعاً له إلى العمل بمقتضى دعوة الشاعر. ونلاحظ أن الصفة الشخصية التي يريد الشاعر إثباتها للمخاطب من خلال شعره لا تنفك عن الأسلوب القرآني، فهو من أهم الروافد التي يستعين بها الشعراء لتحسين بنية ألفاظهم، وجلاء دلالتهم (أحمد، 2017)، ونظراً للارتباط الوثيق بين خطاب الشاعر الديني والقرآن الكريم؛ فإن اهتمامه بالتنصص مع القرآن الكريم بدأ كبيراً، ومؤثراً، وأظهر مقدرة فذة على استدعاء النصوص، بما يتناسب مع تطلعاته وخطابه،

فيخرج من الذاكرة والتكرار (بوترعه، 2018)، وينتقل بسرعة إلى المعاني الجديدة المرتبطة بمخيلته وقراءته للواقع.

إن التناص أداة فاعلة من أدوات الشاعر لتقوية الدلالة، وبما أن على الشاعر عند شروعه في المعاني المؤلفة لشعره، إن يتوخى غاية التجويد للوصول إلى الغاية المطلوبة (السعدي، 1991)، والهدف الأسمى لشعره، فإن التناص بالإضافة إلى كونه عملاً فنياً؛ فإنه سبيل لتقوية الدلالة، وتحسين الألفاظ، وإثراء التجربة الشعرية، وإخراج صور جديدة مستلهمة من الواقع، وربط مخيلة المخاطب بين العلائق التي يهتم بها الشاعر.

شكر وتقدير Acknowledgments

يتقدم الباحث بالشكر إلى الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا (IIUM)، لإعطاء بيئة مواتية لإجراء وبناء فكرة هذا المقال.

تضارب المصالح Conflict Of Interests

يعلن ويعترف الباحث بعدم وجود تنافس في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها فيما تتعلق بكتابة هذا المقال.

مساهمات الباحث / الباحثين Authors' Contributions

صمم الباحثون هذه الدراسة كلها سوياً.

References

- al-Qur'ān al-Karīm
Abbāsī, Muḥammad Zubayr. (2014). al- Tanāṣ Mafhūmuh wa Khaṭṭ Ṭaṭbīqih 'alā al-Qur'ān. International Islamic University Pakistan, Arabic Language Faculty.
'Aḥmad, Nasr al-Dīn 'Ibrāhīm; Bandar, Dalāl Muḥammad. (2017). al-Tanāṣ al-Dīnī fī Shi'r Mānī' Sa'īd al-Utaybah: Madkhal Tahlīlī.

- Majallat al-Dirasat al-Lughawiyyah wa al-‘Adabiyyah. International Islamic University Malaysia. 2 (9).
- al-Bahlānī, Nāṣir ibn Sālim al-Rawwāhī. (2010) al-‘Atsār al- Shi‘riyyah li Abī Muslim Al-Bahlānī. Baghdād: Manshūrat al-Jummal. (1st eds.).
- al-Jāhiz, ‘Amr bin Bahr. (1423H). al-Bayān wa al-Tabyīn. Bayrūt: Darr wa Maktabāt al-Hilāl.
- al-Naysābūrī, Muslim ibn al-Hajjāj. (1433H). Sahih Muslim. Turkiya: Darr al-Tibā‘ah al-‘āmirah. (1st eds.).
- al-Zabīdī, Muḥammad ibn Muḥammad al-Husaynī. (1993). Tāj al-‘Arūs fī Jawāhir al-Qāmūs. al-Kuwait: Wizārat al-‘I‘lām.
- Allen, Graham. (2011). Naḏariyyat al- Tanāṣ. Trans: Bāsil al-Musālamah. Dimashq: Darr al-Takwīn li al-Ta‘līf wa al-Tarjamah wa al-Nashr. (1st eds.).
- al-Maḥrūqī, Muḥammad. (1995). Al-Shi‘r al-‘Ummānī al-Hadīth Abu Muslim al-Bahlānī Rā‘idā. (Unpublished MA Thesis. Al-Sultan Qabus University, Faculty of Arts).
- al-Qayrawānī, al-Hasan Ibn Rashiḡ. (1981). al-‘Umdah fī Mahasin al-Shi‘r wa Naḡdih. taḡqīḡ: Muhyiddin ‘Abd al-Hamid. Bayrūt: Darr al-Jīl. (5th eds.).
- al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd. (2001). Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl ‘Ayī al-Qur’ān Al-Qāhirah: Hajar li al-Ṭiba‘ah wa al-Nashr. (1st eds.).
- Butar‘ah, al-Ṭayyib. (2018). al- Tanāṣ min Khilāl Tsunā‘iyyat al-Istid‘ā‘ wa al-Tahwīl fī Shi‘r al-Jawāhirī. Majallat al-Maḡāmāt. Ma‘had al-‘ādāb wa al-Lughāt bi al-Markaz al-Jami‘ī Aflou, al-Jazā‘ir, Vol: 3.
- Ghalīs, ‘Abd Allāh. (2014). al- Tanāṣ ṣ fī Shi‘r Ibn Zaydūn. Majallat al-Turāts wa al-Hadhārah. al-Mu‘tamar al-‘Ilmī alDawlī al-Khamis, al-Hadharah wa al-Turāts a al-‘Arabī ‘Ibdā‘ wa ‘Asalah.
- Husīn, Shaymā‘ ‘Abd al-Raḡmān. (2017). al- Tanāṣ al-Dākhilī ma‘a al-Naṣ al-Qur’ānī fī Shi‘r al-Hikmah, Dirasat Ṭaṭbīḡiyyah fī Shi‘r al-Imam al-Shāfi‘ī. Majallat Filologi. Kulliyyat al-‘Alsun. Jamiat ‘Ayn al-Shams. 68. June.
- Ibn al-‘Atsīr, Naṣrullah ibn Muḥammad bin Muḥammad al-Jazarī. (2020). al-Matsal al-Sā‘ir fī ‘adab al-Kātib wa al-Shā‘ir. Bayrūt: Darr al-Kutub al-‘ilmiyyah. (2nd eds.).
- Ibn Manzūr, Muḥammad bin Mukarram. (1414H). Lisān al-‘Arab. Bayrūt: Darr Ṣādir. (3rd eds.).

